

الفصل الثاني

مناهج أولي العزم في دعوتهم

● دعوة سيدنا نوح ومنهجه فيها

كان سيدنا نوح أول من دعا إلى التوحيد الذي هو أساس الأديان السماوية ، وكان أول من نهى عن الشرك بالله : ﴿ إِنِّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان: ١٣). ﴿ إِنِّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (النساء: ١١٦) .

لقد بعث الله نوحًا إلى قوم كانوا يصورون آباءهم وأجدادهم الصالحين في تماثيل تخليدًا لذكراهم ، ثم كانوا يعبدون هذه التماثيل من دون الله ، فبعث الله نوحًا لمحاربة هذه الوثنية ، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا وهو يحارب هذه الوثنية وحدها ، ليقلعها من جذورها ، وليغرس بدلها عبادة الله وحده في قلوبهم^(١) .

ولم تَلَقْ دعوته من قومه سوى السخرية والإهانة وألوان العذاب ، ولكن سيدنا نوحًا لبث طوال هذه المدة يتحمل كل ذلك ، ليكون قدوة للرسل والدعاة الذين سيأتون من بعده .

فسيدنا نوح مثال حي خالد للصبر والتحمل ، وأسوة حسنة لكل من يحمل أمانة الدعوة إلى الله ، ونواة حية صالحة لغرس اليقين والعزم الرصين في سبيل بناء الإيمان وهدم الكفران ، ويتلخص منهجه في الدعائم الآتية :

أولاً : الإسرار بالدعوة أولاً ، ثم الجهر بها أخيراً .

(١) أولي العزم من الرسل : للأستاذ محمد عبد الله السمان .

ثانيًا : عدم الاكتراث بسخرية الساخرين وهزاء المستهزئين .

ثالثًا : استعمال اللطف والعطف لاستمالة المدعويين .

رابعًا : الجمع بين الدعوة والصناعة ، كما في صنع السفينة .

خامسًا : تذكير الناس بنعم الله وأيامه .

سادسًا : الدعوة على الكفار بعد اليأس منهم .

سابعًا : تحمل البلاء في انفصال الزوج والولد عن موكب الدعوة .

● ما يُستفاد من منهج سيدنا نوح

يُستفاد من دعوة سيدنا نوح ومن نتائجها ثلاثة أمور :

أولها : طول الصراع بين الحق والباطل ، والانتصار أخيرًا للحق على الباطل .

وثانيها : كون القيمة في الجودة ، لا في الكثرة .

وثالثها : جواز الدعوة على الكفار بعد اليأس من إيمانهم ، وإليكم البيان بالتفصيل :

● طول الصراع بين الحق والباطل

إن ما وقع بين سيدنا نوح وبين قومه من الصراع بين الحق والباطل كان امتدادًا لما وقع بين آيينا آدم وبين إبليس اللعين ، ولا يزال الصراع يستمر بينهما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثم إن أنصار الحق دائمًا قليلون ، وأنصار الباطل كثيرون ، وذلك إما لغموض الحق على أكثر الناس كما قال الشاعر :

غموض الحق حين تذب عنه يقلل ناصر الحق المحق

وأما إغواء الشيطان لبني آدم كما سبق أن قال : ﴿ فِيمَا أَغْوَيْنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ١٦ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿ (الأعراف: ١٦-١٧) .

ولا يضر الحق قلة أنصاره ، فإن وزراء الدول والحكومات لا ينبغي أن يكونوا كثيرين ، ولا يمنع الدعوة إلى الله عدم استجابة عموم الناس لها من أيام سيدنا نوح ومن بعده من الأنبياء والمرسلين .

ولا يلهين الداعية كثرة الكافرين وقلة المؤمنين في قوم نوح وهود وصالح ولوط وإبراهيم وشعيب وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ولا يوهمن المسلم أن الله أرسل محمداً رحمة للعالمين ، ولم يزل باقياً في العالمين من لم يهتد بهديه ممن لم تبلغه دعوته ، أو بلغته ولم يؤمن بها ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (السجدة: ١٣) . إن في عدم إيمان أكثر الناس حكمة بالغة في تقويم الجودة وتقديرها .

● القيمة في الجودة لا في الكثرة

قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾

(المائدة: ١٠٠) .

والذهب لو كثر لما غلا ، والعيد لو عم الأيام لما حلا ، والبدر لو عم الليالي لما ازدهر ، تلك هي الحكم المنطوية في الآيات التي تقول : ﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٧) .

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (العنكبوت: ٦٣) .

﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يوسف: ٣٨) .

﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الرعد: ١) .

﴿ وَلَا يَجِدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٧) .

﴿ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأنعام: ١١١) .

﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء: ١٥٨) .

﴿ أَمْ نَحْسِبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ (الفرقان: ٤٤)

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾

(الأعراف: ١٠٢)

﴿ وَلَئِنْ أَكْثَرْتُمْ لِّلْحَقِّ كَرِهُوا ﴾ (الزخرف: ٧٨)

﴿ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَسِيقُونَ ﴾ (المائدة: ٥٩) .

● خروج الشقي من السعيد كالفضلة من الفضلات

ولو وقف الأمر عند حد القلة والكثرة ، ولم يتسرب إلى الخلطة ، لهان الخطب ، ولكن العناصر الخبيثة مع كثرتها استطاعت أن تتسلل إلى الصفوف الجيدة مع قلتها ، وانتسبت إليها ، وليست هي منها في شيء ، كما وجدنا امرأة نوح وابنه « كنعان » أو « يام » يعيشان مع سيدنا نوح ، وهما في زمرة الكفار الأشقياء .

ولقد وجدنا قبل ذلك آدم أبا البشر الذي خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وكلمه بوحيه ، وعلمه الأسماء كلها ، وأمر الملائكة بالسجود له ، ثم كان أول من يخرج من صلبه وهو « قابيل » كافراً بالله ، عاصياً لربه ، متمرداً على أمره ونهيه ، لم ينفعه لصوقه ولا انتسابه إلى أول نبي وأول سعيد .

فكان كمثّل فضلة من فضلات الإنسان الطاهر ، تخرج منه هذه الفضلة ليرمي بها في المزابل والمهملات .

● جواز الدعاء على الكافرين

ويستفاد من منهج سيدنا نوح جواز الدعاء على الكفار المعاندين يكون ذلك لحماية الدعوة والدعاة ليس لغرض شخصي وإنما يكون كالجهاد الدفاعي الذي يلجأ إليه الرسول بعد اليأس من الصبر .

ولقد دعا سيدنا نوح على قومه حيث لم يؤمر بالقتال فكان هذا الدعاء بمثابة قتال حيث قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ ذِبَّارًا ۖ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح: ٢٦، ٢٧) .

ولم يَدْعُ نوح على قومه إلا بعد أن أرسل الله إليه ما يدل على نفي رجاء الإيمان من قومه وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (هود: ٣٦) .

ولما جاء سيدنا موسى لم يجد بداً من أن ينهج منهج سلفه نوح في الدعاء على فرعون وملكه بعد يأسه منهم فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (يونس: ٨٨) .

وكذلك دعا سيدنا داود وعيسى على الذين كفروا من بني إسرائيل قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٧٨، ٧٩) (المائدة: ٧٨، ٧٩) .

وجاء سيدنا محمد ﷺ فدعا لطائفة من قومه بالهداية بعد أن آذوه وقال : « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون » .

كما أنه دعا على طائفة منهم حيث ينس من إيمانهم ، وفي البخاري أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على قوم قنت بعد الركوع ، وجاء أن النبي ﷺ قنت بعد الركوع شهراً يدعو على قاتلي القراء السبعين الذين أرسلهم النبي إلى بني سليم ليعلموهم الإسلام فغدروا بهم في الطريق وقتلوهم .

وقد جاء في السيرة أن النبي ﷺ دعا على قريش حين اشتد عليه أذاهم بقوله « اللهم عليك بقريش » ، ثم سمى فقال : « اللهم عليك بعمر بن هشام وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد » .

وقال عبد الله بن مسعود : فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا إلى القليب - قليب بدر - ثم قال رسول الله ﷺ : « واتبع أصحاب القليب لعنة » .

وروى الشيخان والترمذي أن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسنى يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴾ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الدخان: ١٠، ١١) . فأتى رسول الله ، فقبل : يا رسول الله استسق لمضر فإنها قد هلكت . قال : لمضر؟ إنك لجرأى ، فاستسقى لهم فسقوا ، فنزلت : ﴿ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾ (الدخان: ١٥) - فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ (الدخان: ١٦) .

ودعا النبي ﷺ على كسرى حين مزق كتابه : أن يمزق الله ملكه ، فلم يبق منه بقية ، ولقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ : « الدعاء سلاح المؤمن » . والمؤمن لا يجرد سلاحه إلا في حالة الدفاع عن نفسه ودينه ، والكي آخر الدواء .

● شخصية سيدنا إبراهيم ودعوته ومنهجه

لقد وصف الله سيدنا إبراهيم في القرآن بوصف جامع كامل لم يصف به غيره من الأنبياء الذين سبقوه والذين لحقوا به حيث قال : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ آجِتَبَنَّاهُ وَهَدَّاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل: ١٢٠، ١٢١) .

ثم وصفه الله في آية أخرى بالخلعة في قوله : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء: ١٢٥) .

وكذلك نسب إليه الدين وسماه ملته بقوله : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٠-١٣٢) .

● أما دعوة سيدنا إبراهيم فتتلخص في ثلاثة أنواع انهمك فيها قومه

- الأول : عبادة الأصنام التي ورثها قومه من قوم نوح وعاد وشمود .
 الثاني : عبادة الأجرام السماوية من شمس وقمر ونجوم ، وذلك من بدعهم .
 الثالث : عبادة الملوك الذين ادعوا الربوبية ، وأولهم نمرود بن كنعان .
 فقد بعث الله إبراهيم لمحاربة هذه الأنواع الثلاثة من : الفساد ، والكفر ، والضلال .

● أما منهجه في تطبيق الدعوة على نفسه فيتلخص في

الفناء في سبيل الله بالتضحية والفداء ونكران الذات كما في قوله تعالى :
 ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ (٧٧) أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٨﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ
 إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ
 ﴿٨١﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨٣﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ
 أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٤﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْجَقْنِي
 بِالصَّالِحِينَ ﴿ (الشعراء: ٧٥-٨٣) .

والاستسلام لأوامر الله تعالى ، كما في ذبح ولده الوحيد الذي وهبه الله على
 الكبر ، أو في سنن الفطرة ، وفي بناء البيت ، وفي إنزال أهله بواد غير ذي زرع
 عند هذا البيت المحرم ، وغير ذلك من البلاء المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ
 أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ
 ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ١٢٤) .

لذلك كله قال تعالى للمؤمنين : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ
 وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ (المتحنة: ٤) .

أما منهجه في الدعوة فيتلخص في استعمال الحجة والبرهان مع الأدب
 والوقار في دعوة الكبراء من الآباء والملوك والأقرباء .

أولاً : لقد أنكر سيدنا إبراهيم على أبيه أن يعبد الأصنام ولكن في أسلوب
 لبق كله عطف ولين ورحمة قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ

صَدِيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَأْتَبِتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي
عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَأْتَبِتْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ
صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَأْتَبِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾
يَتَأْتَبِتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾

(مریم: ٤١-٤٥) .

ثانيًا : وأنكر سيدنا إبراهيم على قومه أن يعبدوا الكواكب السماوية في
أسلوب حكيم ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ
لَأَحِبُّ الْأَفْلَاقَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ
لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً
قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْفَرُ مِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ
مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا
تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ (الأنعام: ٧٥-٨٠) .

ثالثًا : أنكر على مدعي الربوبية وأفحمه بحجة دامغة حتى ألغمه الحجر
كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهٖ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ
الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ
الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨) .

رابعًا : اهتم سيدنا إبراهيم بالأهل والأقارب :

ولما قال الله تعالى له : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ لم يتأخر إبراهيم حتى
قال : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ قال ذلك ليكونوا سعداء معه .

ويتجلى اهتمامه بهم أيضاً في الدعاء لهم حيث قال : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۖ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٥ ۝ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ يَهْوَى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم: ٣٥-٣٧) .

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ (إبراهيم: ٤٠) .

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ (البقرة: ١٢٨) .

وجاء القرآن يؤيد هذا المنهج بقوله : ﴿ يَتَأْتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُتُولًا مُّسَكِّمًا وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُتُودَهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحریم: ٦) .

وقوله : ﴿ وَأُمِرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِيقَابُ لِلتَّقْوَى ﴾ (طه: ١٣٢) .

● ما يستفاد من دعوة إبراهيم ومن منهجه

أولاً : يجب أن نعرف أن الرئاسة والإمامة لا تُنال بالتمني ولكن بالقيام بالتكاليف الشاقة كما قام بها إبراهيم حتى جعله الله للناس إماماً قال شاعر :

لا تحسب المجد تمرا أنت أكله لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ثانياً : يجب على الداعية أن يطبق على نفسه ما يدعو إليه وأن يكون هواه تبعاً لما أنزل الله من الأحكام والشرائع في الأوامر والنواهي وأن يحمل تكاليف ربانية من غير ملل ولا ضجر .

فقد استسلم إبراهيم لأوامر مولاه ونواهيه وتحمل تكاليفه الشاقة حتى أثنى عليه مولاه وخالفه تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ (البقرة: ١٢٤) .

وبقوله : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة: ١٣١).
ثالثاً : يجب على الداعية أن يغير المنكر باليد كلما سنحت له الفرصة
بذلك إن كان لا يترتب من التغيير منكر أكبر .

فقد كسر النبي إبراهيم الأصنام بيده ثم علق الفأس على كبريها وقال لهم
حين سألوه : ﴿ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِفَاهِتِنَا يَتَّبِرْ إِبْرَاهِيمُ ﴾ ⑤ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ (الأنبياء: ٦٢، ٦٣) .

وعلى هذا المنهج جاء الحديث النبوي الشريف : « من رأى منكماً منكراً
فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف
الإيمان » .

رابعاً : يجب على الداعية أن يعتقد بضرورة الهجرة من ديار الكفر إلى ديار
الإسلام لتمكين الدعوة من الانتشار ، فقد كان سيدنا إبراهيم أول من هاجر
ومصداقه قوله تعالى : ﴿ فَاقَامَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (العنكبوت: ٢٦) .

خامساً : مما يستفاد من منهج سيدنا إبراهيم ضرورة تطهير بيوت الله من
رواسب الجاهلية ولوازم الوثنية ومن كل شرك قولي وعملي ومن كل بدعة
وأصل ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ
لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (البقرة: ١٢٥) .

وقال أيضاً : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾
(الحج: ٢٦) .

فالمساجد أمكنة للاعتكاف لذكر الله والصلاة ومدارسة العلوم الدينية كتلاوة
القرآن والحديث وقواعد العلوم ، ليست المساجد لحديث الدنيا للخاص
ولا للنوم ولا الاستجمام أو اللعب أو اللهو ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ
اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن: ١٨) ^(١) .

(١) وليراجع الداعية في هذا الصدد كتاب « إصلاح المساجد من البدع والعوائد » للشيخ
جمال الدين القاسمي . ونحو ذلك مما كتب في الموضوع .

سادساً : يُستفاد من منهج سيدنا إبراهيم تعاون الدعاة بعضهم مع البعض فقد دافع إبراهيم عن ابن أخيه لوط أمام الملائكة كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (٣٢، ٣١) قال ابن فيهما لوطاً ﴿ (العنكبوت: ٣٢، ٣١) .

وقال أيضاً : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى مُجْنِدِلْنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (٧٥) إن إبراهيم لحليم أواه منيب ﴿ (هود: ٧٤، ٧٥) .

وجاء في الكتاب المقدس : إن إبراهيم جاهد أهل مدينة سدوم لإنقاذ آل لوط كما سيأتي بيانه في الكلام عن الجهاد .

يؤخذ من ذلك ضرورة تعاون الدعاة مع بعضهم على البر والتقوى وعلى نشر الدعوة بخلاف ما يفعله الدعاة اليوم من التنافس على السمعة وعلى الشرف والمكانة فيحسد بعضهم بعضاً عند الملوك ورؤساء الدول على المناصب والمراتب .

● دعوة الأزهر إلى التنسيق بين الدعاة

ومن هنا دعا الأزهر إلى ضرورة التنسيق بين أعمال الدعاة ومنظمات الدعوة مع مراعاة الآداب والمحبة والولاء والاعتراف بفضل الغير وإيتاء كل ذي فضل فضله والثناء الجميل من اللاحقين للسابقين أفراداً كانوا أو جماعات ، وفي ذلك ربط الحاضر بالماضي وإلحاق الفرع بالأصل والتنسيق إذا تجرد عن هذه الزوايا كان إخداجاً وتفريقاً . لذلك يجب إزالة المعوقات عن طريق التنسيق لتسير الدعوة اتجاهاً واحداً فالعالم اليوم يعمل بالتكتلات والتجمعات لمجابهة التحديات .

* * *

